اصلاح شأن المرأة وتحسين حالها اذ بذلك اصلاح الوطن وتحسين حاله وما ذلك عليها بعزيز

ملجأ الفقراء

لقد انتقلت الى رحمته تعالى في هذه المدة قرينة جناب اللورد كرومر وكيل انكلترا السياسي في هذا القطر فشق نعيها على الجميع لما كانت موصوفة به من جميل الخلال ولطف الاخلاق وقامت جرائد البلاد تؤبنها وتصف حسناتها وهو تأبين نشارك الكل فيه لاعتقادنا بوافر ادبها وعظيم كرمها واحسانها على الفقراء وهو ما كانت مشهورة فيه بالخصوص ولا سيما على فقراء هذه البلاد التي قطنت فيها دهراً طويلاً . ثم تألفت بعد ذلك لجنة من اكابر هذه البلاد تدعو الناس الى بذل المال لاقامة اثر خيري تذكاراً لهذه المحسنة من جهة واحساناً للفقراء المعوزين من جهة ثانية حتى يكون نعتها بالاحسان مصاحباً لها في حالي حياتها وموتها وهو عمل مشكور جداً لا يعترض عليه بوجه من الوجوه اذ لا يصح لاحد ان يقف في طريق الاحسان او يريد محسن تمد لاعانة فقير ولكن هذا الشأن قد نبهنا الى امر نخرج به قليلاً من حد الشكر والثناء الى حد الدلالة على التقصير الشديد الذي نحن فيه

فلقد يعلم الجميع ان بلاد مصر من افقر بلاد الله وان رجال الكفاف فيها

يكادون يعدون عداً ومن بقي من مئات الالوف من الشعب فقراء جداً لا يعيشون الا العيشة الضرورية التي لو انقطعت عنهم يوماً واحداً لماتوا جوعاً وعرياً حتى لقد كثر عندنا التسول الى حد يجتاز المألوف والقياس المعروف في كل بلاد

ولقد كانت جرائد البلاد وافرادها لا يألون جهداً في تنبيه سراة القوم وحكومتهم الى وجوب المعونة لهولاء الضعفاء فما كان يجاب لهم دعاء ولا يسمع منهم نداء مع ان ذلك من اشد الحاجات لزوماً واكثرها وجوباً لا رحمة بهذا الفقير فقط وقياماً بواجب الانسانية معه بل خشية منه ان يشتد فقره ويكثر عوزه ويتضاعف عدده فيصبح جيشاً جراراً يغزو البلاد كلها حتى تفشو السرقة والموبقات ويختل الامن العمومي كما نسمع ذلك عن بعض اوربا التي يبرّح بها الفقر فلا تجد لها غير القوة لدفعه

كل هذا نتأثر له جداً ونخشى منه دائماً ولكن دون ان نجد من هولاء الاكارم او رجال الحكومة اقل مبالاة به مع ان اكثر الخطر منه واقع عليهم ومنتظر ان يصيبهم دون سواهم وهذا ولا شك من فساد الرأي وعدم السياسة والاعتداد بالعواقب

ثم اننا نعجب الان جداً اذ تموت في بلادنا امرأة فاضلة محسنة فيكون موتها وهي محسنة واحدة سبباً للاحسان لجمهور عظيم من فقراء الناس ويقوم اكابر البلاد كلهم دفعة واحدة يبذلون المال بسخاء من اجلها ثم يدفعون المبالغ الطائلة في وقت قصير من اجل الاحسان والمعروف . حقاً ان ذلك لمن افضل النتائج واجلها وقعاً عند الله والناس واكثرها استنزالاً لاجر الله وثوابه واستلزاماً لدعاء الفقير وشكره وان بهذه الاعمال وامثالها تتفاضل

الناس وتتفاوت رتب الشعوب وبمثل ذلك يكون الانسان انساناً حقيقياً لان الذي لا يحسن الى الناس فهو ليس من الناس. ولكن ألا يحق لنا مع ذلك ان نعجب لماذا لم تكن هذه المأثرة قبل موت هذه الفاضلة المشكورة ولماذا لم يشاركها رجال بلادنا باسعافهم وبذلهم حين حياتها ويساعدوها في سبيل الاحسان للفقراء فتعيش مسرورة بكرمهم مثنية عليهم ثم تموت قريرة العين بانها تركت ملجأ للمساكين وانه كان لها في قصدها اعوان ولم تمش في هذا السبيل وحدها

انه لا يصح ان نقول ان كون اللورد كرومر زوج هذه المحسنة هو الذي دعا بقومنا الى هذا البذل وحاشا للاحسان ان يكون بمثل القسر وانما هو يكون بالقدوة مدلولا عليه بمثله متبعاً فعله بفعله ولكننا نقول ان موت هذه الفاضلة والاسف الشديد عليها قد كان اول منبه للعناية بالفقراء من بعدها حتى لا تسد في وجوههم المذاهب فلذلك نديت الاكف بانصرافها عن الفقراء كما نديت الجفون عليها من البكاء وكان المحسنون من بعدها كعوض عنها يكملون ما فاتها من الطريق ثم نقول على اسف منا اننا لا نصطنع المعروف الا من طريق الخجل ولا نساق اليه الا سوقاً لان غيرنا يكون البادي به وهي حالة لا تضر في جوهر المعروف والاحسان فانه احسان على كل حال وحبذا المعروف والخير من اي طريق جاء ولكنها تؤثر بنا تأثيراً ادبياً

والان فان هذا المشروع الخيري قد تم او اوشك ان يتم مضاعفاً فيه الثناء لصانعيه مزيداً فيه الاجر لمن انشيء من اجلها لان مسبب الخير كفاعله ولا شك. ونحن الان لم نبن قولنا هذا على وفاة تلك الفاضلة فقد طالما ذكرنا شيئاً كثيراً بهذا المعنى ولكن وفاتها وذلك المشروع قد نبهنا الى معاودة هذ

البحث لنذكر ذلك التأثير الادبي الذي اشرنا اليه وهو ان ذلك الملجأ سيقام باسم اللادي كرومر وهي مهما كان مقامها قد طال في بلادنا فانها تحسب اجنبية عنا بالوجه واليد واللسان ولذلك فنحن نرجو الان ان يكون لنا ملجأ وطني محض يقام باسم الوطنيين ويكون الفضل فيه راجعاً اليهم بخصوصهم ولا يقول قومنا ان هذا الملجأ فيه الكفاية فان الاحسان لا نهاية له وهو يقبل الزيادة الى آخرها

هذا من جهة الحقيقة والفعل واما من الجهة الادبية فواجب كل الوجوب حرصاً على كرامة الوطن وحرمته حتى لا نرمى بالعجز والتقصير عن غير حق لان المال انما ندفعه ودفعناه على كل حال ولا تهمة في البخل تمسنا ولكن يجب علينا ان يكون لنا ملجأ وطني خاص بنا فنضيف الى واجب البذل والكرم واجب الوطنية والمحافظة على آدابها بما لا نخرج فيه عن حد المعروف والاحسان الذي يلزمنا من كل وجه

وفي يقيننا ان الجرائد الوطنية تكون من رأينا في هذا الاقتراح فتحض جميعها وجوه القوم واعيانهم على اقامة اكتتاب اخر ننشيء به ملجأ وطنياً لاطفالنا وارامانا لان حكومتنا اذا كانت تقصر دون هذا الواجب بعذر تبديه من جهة المال فما عذرنا نحن والمال موجود عند اغنيائنا وقد دفعوه ودلوا على انهم قادرون